

دراسة دلالية في توظيف مفردات (يولج - يگور - نسلخ - يقلب) في القرآن الكريم

الدكتور هادي رزافي هريكندهئي (الكاتب المسؤول)
أستاذ مساعد بجامعة نوشيرواني - قسم الإلهيات والمعارف الإسلامية بابل - إيران
razaghi@nit.ac.ir
فاطمة فضليان كاري
طالبة العلوم الدينية في الفصل الرابع - حوزة السيدة خديجة (س) بابل - إيران

A semantic study in the use of vocabulary (inserted - flipped - flipped) in the Holy Qur'an

Dr. Hadi Razaky Herkendhai (responsible writer)
Assistant Professor at the University of Nowsherrwani , Department of
Islamic Theology and Knowledge , Babylon , Iran
Fatima Fadliani Kari
Religious Sciences Student in the Fourth Semester , Hawza Khadija ^(S)
Babylon , Iran

Abstract:-

Each of the Qur'anic vocabulary has its own meaning and employment because it has been used with great care and precision. Therefore, some vocabulary may be close in terms of meaning, but the use of one of them replaces the other and the expression is not what was developed for it, perhaps it is not able to convey the meaning and the intended Quranic meaning of it. In order to discover the semantic differences of these terms and expressions, it is necessary to look closely and precisely in their context and look at the verbal context in which the term was used in order for the researcher in the Quranic text to reach the intended meaning in this text. From this starting point, this research seeks to look at the indicative differences of vocabulary words that permeate, pellet, and slough off, and flip which were received to express the fluctuation and succession of day and night. As these terms are close from a semantic perspective, the translator expects from Arabic to semantic errors, and they are translated as if they are synonymous with meaning. While we know that each term from the semantic perspective has its own significance and there are no words that are completely synonymous with meaning from the perspective of semantics. From this perspective, this study seeks, and based on the employment of verses and their contexts and the general spaces in which the verses appear, reveal the concept of these vocabulary and by understanding it to an appropriate and correct translation for it and at the same time defining the boundaries of each individual with the other vocabulary.

Key words: significance, Quran, insert, flip, flip.

الملخص:

لكل مفردة من مفردات القرآن دلالتها وتوظيفها الخاص بها لأنها استخدمت بعناية ودقة فائقتين. لذلك قد تكون بعض المفردات متقاربة من ناحية المعنى، لكن استخدام واحدة منها محل الأخرى والتعبير بغير ما وضع له، ربما لا يقدر علي إيصال المعنى والمقصود القرآني المراد منه. ولكي نكتشف الفروق الدلالية لهذه المفردات والتعابير يجب إمعان النظر والدقة في سياقها والنظر إلي السياق الكلامي الذي استخدمت فيه المفردة حتي يتسنى للباحث في النص القرآني الوصول إلي الدلالة المقصودة في هذا النص. ومن هذا الإنطلاق يسعى هذا البحث النظر في الفروق الدلالية لمفردات يولج، ويكور، ونسلخ، ويقلب التي وردت للتعبير عن تقلب الليل والنهار وتعاقبهما. فبما أن هذه المفردات متقاربة من المنظور الدلالي توقع المترجم من العربية في أخطاء دلالية فتترجم وكأنها مترادفة المعنى. في حين نحن نعرف أن كل مفردة من المنظور الدلالي لها دلالتها الخاصة ولا توجد مفردات مترادفة المعنى تماماً من منظور علم الدلالة. فانطلاقاً من هذه النظرة تسعى هذه الدراسة وبناء علي توظيف الآيات وسياقاتها والفضاءات العامة التي وردت فيها الآيات الكشف عن مفهوم هذه المفردات ومن خلال فهمها إلي ترجمة مناسبة وصحيحة لها وفي الوقت نفسه تعيين حدود كل مفردة مع المفردات الأخرى.

الكلمات المفتاحية: الدلالة، القرآن، يولج، يكور، نسلخ، يقلب.

المقدمة:

لقد كان نزول القرآن حدث جليل لا نظير له في تاريخ البشرية جمعاء. فقد تحدث الله سبحانه وتعالى مع الرسول ﷺ في ظروفه الإجتماعية المختلفة. وهذا الحدث العظيم خلق تراثاً زاخراً استقطب اهتمام المسلمين طيلة الأربعة عشر قرناً مضت من نزول أول آية منه، وقد سلخ الباحثون المسلمون سواد الليالي و بياض الأيام في كشف معارفه و الغور في بحره و حفظه وتجويده. ولا شك إن إحياء العلوم الإسلامية وعلي رأسها التفسير واستخدام العلوم الحديثة في هذا الشأن وتوظيف الآليات التحليلية في تفسير القرآن من أبرز أهداف العلماء المسلمين في العصر الراهن.

لقد جعلت ظاهرة التشابه الدلالي في بعض مفردات القرآن طائفة لا يستهان بها من مفسري القرآن لا يميزون بين المفردات ذات الدلالة المتشابهة ولا يميزون الفروق الدقيقة بين كل مفردة من مفردات القرآن فيعتمدون معنى واحداً لترجمة المفردات المختلفة في كل سياقاتها النصية وموضعها من المفردات والآيات الأخرى. بحيث تخلق أقوالهم إنطباعاً لدي القارئ بأن الله جلّ وعلي يريد التكرار المقيت في المواضع المختلفة لنص هذا الكتاب السماوي ويأتي التكرار لمحض التأكيد بحيث تتوسع هذه النظرية حتي تدعي أن مجرد التشابه الصياغي للمفردتين اللتين استخدمتا في مواضع مختلفة، دليل علي إمكان توظيف أحدهما مكان الأخرى. في حين فتح علم الدلالات والألسنيات الباب واسعاً أمام الدراسات القرآنية لتقديم معان جديدة و أمكن المفسرين والباحثين في الدراسات القرآنية من تقديم دراسات جديدة في علم الدلالات وتطبيقها علي الدراسات القرآنية. ولا ننسي أن هذه الدراسات ليست بديعة علي ساحة التفسير و الدراسات القرآنية؛ فقد شهد تاريخ الإسلام كمّاً هائلاً من هذه الدراسات التي قام بها عظماء الأدب والتفسير مثل سيويه النحوي والسيد الرضي في شرح الكافية؛ لكنها تقتصر إلي منهجية واضحة وآليات تفسيرية ممنهجة (قائمي نيا، ٢٩: ١٣٩٦). علم الدلالة القرآني هو عبارة عن محاولة لرسم خارطة دلالية للقرآن ترسم لنا معالم الطريق و تبلور لنا الآليات الدلالية التي يستند إليها القرآن في صياغة المفاهيم وصناعة المعني في السياقات المختلفة؛ بتعبير آخر؛ لا طريق لفهم واستيعاب دلالات القرآن و معاني المفردات من دون النظر إلي السياق والفضاءات المختلفة التي

وُظِّفَتْ فيها المفردات؛ خاصة أن القرآن ليس نصاً إعتباطياً رُصِفَتْ فيه المفردات بشكل عشوائي و من دون الخضوع لقاعدة ممنهجة ودقيقة، وإنما هو عبارة عن شبكة بالغة الدقة والبلاغة من المفردات والعبارات التي رُصِفَتْ رصفاً دقيقاً، فكل مفردة من النص القرآني لها صلة وثيقة بالمفردات الأخرى وبالسياق والفضاء النصي التي وردت فيه، لهذا كل كلمة تأخذ معناها الدلالي من سياقه النصي. فإن ألقى هذا السياق النصي أو أهمل في عملية الشرح والتفسير والدراسات الدلالية فلا يمكن الوصول إلي المعنى المقصود به. خاصة إذا علمنا أن كل مفردة وضعت بدقة ولها دلالتها الخاصة بها (ايزوتسو، ٢٥: ١٣٦١). بهذه المقدمة نعود إلي السؤال الذي طرحناه في هذه الدراسة. فهل مفردات يولج، ويكور، ونسلخ، ويقلب التي وردت كل منها في سياقات مختلفة حول تعاقب الليل والنهار لها معنى واحداً أم أن كل مفردة لها دلالاتها الخاصة بها حسب سياقاتها المختلفة؛ فيجب النظر إلي السياق النصي الكلي للآية و مضمونها في شرح دلالة كل مفردة. وتسعي هذه الدراسة ضمن تحليل المعنى اللغوي والدلالي لكل مفردة، أن تدرس الفروق الدلالية الدقيقة والسياق التي وردت فيه المفردات، وتشرح آراء المفسرين ومقارباتهم الدلالية لكل مفردة والعلاقة التي تربط بين المفهوم والسياق وتدرس العلاقة الممنهجة والمنظمة لهذه المفردات ودلالاتها بدقة. فمن أبرز نتائج المنهج الوصفي هي بلورة العلاقة الدلالية العميقة بين المفردة وسياقها والعلاقة بما قبلها وما بعدها من المفردات وآلية رصف الكلمات في النص القرآني و رصد أوجه الفرق بين هذه المفردات من ناحية الدلالة، بحيث يتبين أن كل مفردة وردت في سياقها و موضعها الخاص بها. وللوصول إلي هذه الغاية بدأنا دراستنا بتحليل آراء المفسرين حول دلالة وتفسير كلمات يولج، ويكور، ونسلخ، ويقلب وبعدها قمنا بتحليل وشرح كل منها علي حدة. وتعتمد هذه الدراسة المنهجية الوثائقية/المكتبية وتسعي من خلال هذه المنهجية أن تقدم شرحاً لمفردات يولج، ويكور، ونسلخ، ويقلب عبر المراحل الثلاثة وهي الوصف، والتحليل، والتبيين.

المفاهيم

١- يعني علم الدلالات (semantics) بكشف المعنى ودلالة الكلمة من خلال دراستها علمياً (صفوي، ٣١: ١٣٨٧) ذلك المعنى الكامن تحت طبقات النص

السميكة، فكلما كان النص معقداً كانت وظيفة علم الدلالة أكثر أدبية وأقدر ولوجاً في طبقات النص. فهي بهذه الحال تحاول نقل المزيد من المعنى والدلالة بأقل عدد من المفردات وهذا ما يزيد من صعوبتها وجاذبيتها في الوقت نفسه. ومن هنا تظهر الحاجة إلى القواعد والآليات المنتظمة والقوانين المنسجمة لكشف المعنى (شعيري، ٣: ١٣٨١) فوظيفة علم الدلالة هو نقل المعنى عبر اللغة. يقوم علم الدلالة بتقطيع أوصال النص والكلام. فبعد دراسة هذه الأجزاء المتقطعة من النص تقوم الدلالة بوصل هذه الأجزاء من أجل الوصول إلى المعنى الكلي، فكل جزء من هذه الأجزاء النصية هو بمثابة حلقة من حلقات سلسلة متشابكة. فهذه المنهجية التي تقوم علي أساس الحركة من الجزء إلى الكل تتطلب دقة فائقة في عملية تحليل النص (المصدر نفسه: ٣) فالكلام من وجهة نظر علم الدلالة عبارة عن مجموعة متماسكة الأجزاء، و وظيفة عالم الدلالة أن يقوم بدراسة هذا الإنسجام المتمثل في النص؛ لأن الكلمات تشكل في ما بينها مجموعات مختلفة الأحجام وهذه المجموعات يجب أن تتلائم وتتصل ببعضها عبر طرق مختلفة لكي تشكل كلاً منسجماً متماسكاً في شبكة بالغة التعقيد تتجلى فيها الصورة الكلامية والدلالة المقصودة (إيزوتسو، ١٣٦١، ص ٥).

في الحقيقة ((علم الدلالة)) هو آلية لمعرفة المعنى؛ لذلك يجب أن تكون قادرة علي السياقات والفضاءات النصية المختلفة أن تقدم منهجية مناسبة لكشف الدلالة و معنى النص و تسعف المؤلف والقارئ في الوصول إلى المقصود (مطيع، ١٣٨٧، ٣٢).

١- يولج: ولج ولوجاً وإيلجاً وهو كل ما دخل في الشيء ولم يكن جزء منه، فمثلاً يدخل رجل في قوم وهو ليس منهم فهو والج فيهم (الطريحي؛ ١٣٧٥ش، ج ٢: ٣٣٥) و الوليجة تشير إلي العلاقة السرية والتوغل في الشيء خلافاً للنفوذ الظاهر المكشوف (مصطفوي، ١٤٣٠هـ ق. ج ٢١٩: ١٣)

٢- يكور: كور يكور تكويراً. وهولف الشيء واستدارته؛ فيقال كور العمامة علي رأسه وأصله تكوير العمامة. إذن القول بأن "الله سبحانه وتعالى كور الليل على النهار" أي أدخل الواحد في الآخر (الزبيدي؛ ١٤١٤هـ. ق؛ ج ٧: ٦٣ والفراهيدي؛

ج ٥: ٤٠٢) فقد اشترط أئمة اللغة الإستدارة والتدوير في عمل التكوير؛ وهذا التعبير القرآني إن دلّ علي شيء إنما يدلّ علي كروية الأرض. فقد أشار القرآن إلي هذا الأمر في عهد لم يعرف البشر شيئاً عن كروية الأرض والبشرية كلها كانت تؤمن بأن الأرض مسطحة.

٣- نسلخ: سلخ الجلد؛ أي انتزعه من الجسد؛ فقد يقال: سلخته فانسلخ. واستعير للتعبير عن نزع الدرع وإنهاء الأمر و دوران القمر. فيقال سلخ الدرع وانسلخ الأمر وانسلخ القمر (الراغب الإصفهاني؛ ١٣٧٤هـ. ش؛ ج ١: ٤١٩ والقرشي؛ ١٣٧١هـ. ش؛ ج ٣: ٢٨٦).

سلخ النهار من الليل هو تبديد النور منه. كما يمكن القول أن ذرات الهواء مظلمة في ذاتها فينفذ نور الشمس في داخلها فيضيء تلك الذرات؛ فتتحول إلي موجات حرارة فتجذبها تلك الذرات، وعند أفول الشمس و تبديد النور ينسلخ النور من ذرات الهواء فيجنّ الظلام ويخيم علي السماء (القرشي؛ ١٣٧١، ج ٣: ٢٨٧). وانسلخ الليل من النهار. أي خرج منه خروجاً لا يبقى معه شيء من ضوئه (الفراهيدي؛ ١٤١٠ق، ج ٤: ١٩٨). إذن الأصل في المادة هو الظلمة كما أن الأصل والمبدأ في عالم الروح هو النور؛ وأن النور في عالم المادة عارض عليها وليس جزءاً منها (مصطفوي؛ ١٤٣٠هـ. ق؛ ج ٥: ٢٠٨)

﴿وَأَيُّهَا اللَّيْلُ نَسْلُخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُمُ مُظْلَمُونَ﴾ (يس: ٣٧) وسلخ النهار من الليل يبدو سلخ الضوء أو النور من موضع الليل؛ فيمكن القول أن ذرات الهواء مظلمة في ذاتها فينفذ فيها ضوء الشمس و تتحول بصورة متواصلة إلي موجات حرارة فتجذب تلك الحرارة في ذرات الهواء والأرض وعند أفول الشمس وقت الغروب ينقطع الضوء فيذهب النور من تلك الذرات فيدخل كل شيء في الظلام و هو الليل. (القرشي ١٣٧١هـ. ش؛ ج ٣: ٢٨٧)

٥- يقلب:: قلب الشيء: قلب الشيء هو عكسه رأساً علي عقب أو ظهرأ لقلب. فقلب الثوب أي قلب باطنه وظهره؛ وقلب الإنسان هو إعادة الإنسان من منهجه وطريقه وفكره إلي منهج وطريق آخر. (الراغب الإصفهاني، ١٤١٢هـ. ق؛ ٦٨٢)

خلفية التحقيق

لم تُكتب علي حد علمنا أية دراسة أو مقالة أو كتاب مستقل في موضوع دراسة دلالية حول توظيف مفردات يولج، ويكور، ونسلخ، ويقلب في القرآن الكريم؛ لكن شهدت الدراسات الحديثة كمّاً هائلاً من البحوث الدلالية بصورة كلية وشاملة تجدر الإشارة إلي: الدلالة الجمالية في القرآن للكاتب مهدي مطيع، و الدلالة القرآنية للكاتب علي رضا قائمي نيا، ومدخل لعلم الدلالة للكاتب كوروش صفوي.

دلالية المفردات

معرفة مداليل مفردات و تعابير القرآن لها دورٌ لا يستهان به في فهم الآيات و مضامينها؛ وهذه المعرفة تندرج ضمن مجال علم الدلالة.

وينقسم حقل علم الدلالة إلي حقلين تاريخي والوصفي. ويهتم علم الدلالة التاريخي إلي التطورات التي تطرأ علي الكلمة وتغيير معناها عبر تعاقب العصور، وهذا الأمر يفتح المجال لفهم المعني والمقصود لكل مفردة في العصور المختلفة خاصة في عصر نزول القرآن. أمّا علم الدلالة الوصفي فقد يعني بدراسة بدلالة الكلمة من خلال دراسة بيتها المفهومية والمجال الذي استخدمت فيه ضمن النص (نكونام، ١٣٩٠: ١٨-١٩) لأن كل كلمة تأخذ معناها ضمن السياق الذي أستخدمت فيه وضمن النص وليس خارجه. فسياق الكلام و حضور الكلمة ضمن الكلمات الأخرى هو من يعطي للكلمة معنى. وسياق الآيات من ضمن القرائن والدلالات التي يمكن أن تساعد الباحث علي معرفة المعني المراد وفهم المجال الدلالي الذي وردت فيه المفردة. ولهذا يكون السياق من أكبر القرائن الدالة علي قصد المتكلم والقرنية في علوم اللغة العربية هي وحدها تميز فهم اللفظ في غير ما وضع له و إخراجها من معناه الظاهري (العلواء، ١٣٨٩: ٧٨). معظم الوحدات الدلالية تكسب المعني ضمن حضورها مع الوحدات الدلالية الأخرى؛ فلا معنى للوحده الدلالية أو اللفظة من دون السياق ولا يحدّد المعني إلّا السياق (مختار عمر، ١٩٩٣: ٨٦). ويتجلّي لنا من خلال الأبحاث السابقة حول قضية الترادف والكتب والمقالات التي وضعها علماء هذا الحقل، ومن خلال دراسة جذور المفردات والألفاظ وأصولها في معاجم اللغة وأيضاً بالإستعانة من التعاريف المختلفة التي وردتنا حول حقيقة الترادف وماهيته، يتضح لنا أن الترادف ليس

كما يقال في تعريفه وهو ((وضع اللفظ للمعني)) ففي كل لغة لفظاً لمعني خاص، واللغات كلها وضعت لفظاً لكل معنى (ميرلوي، ١٣٩٢؛ ٥٨٥). بناءً على ما قلنا وشرح ما ورد في شأن علم الدلالة في هذا المجال؛ تتضح لنا ملامح الإطار الكلي الذي يجب أن نؤطر فيه الدراسة. ولهذا اخترنا البحث ليكون ضمن إطار آيات القرآن. ونتوقع أن يواجه القارئ صعوبة في فهم المعني بسبب المقاربة الدلالية أو المنهج الدلالي الذي اعتمدت عليه الدراسة. ونأمل أن يتخطى القارئ هذه الصعوبة من خلال النظرة الثابتة وإمعان النظر في القضايا المطروحة في هذا المقال.

دلائل استخدام كلمة "يولج" في القرآن

وردت كلمة يولج وتولج وهي من وَلَجَ في القرآن ست مرات؛ والإيلاج بمعنى الإدخال وهي وردت في هذه الآيات في سياق التمثيل لكي تدلّ علي تعاقب الظلام والنور ودخول الواحد في الآخر (ابن عاشور، ١٤٢٠، ج ٢١: ١٢٦) وقال البعض أن الولوج هو استعارة عن كثرة زمان النهار في الليل والليل في النهار (الطنطاوي، ١٩٩٧، ج ٢: ٢٧) والآيات التي وردت فيها هذه المفردة بمعني الليل والنهار هي:

١- ﴿تُولِجُ اللَّيْلُ فِي النَّهَارِ وَتُولِجُ النَّهَارُ فِي اللَّيْلِ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَتَرْزُقُ مَنْ شَاءَ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ (٢٧/آل عمران)

٢- ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾ (٦١/حج)

٣- ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَأَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ (٢٩/لقمان). كما تمكن الإشارة إلي سورة فاطر الآية ١٣ و سورة الحديد الآية ٦.

الف) كلمة يولج عند المفسرين

قليل في تفسير الإيلاج (ولوج الليل في النهار والنهار في الليل) إنه حلول الواحد محل الآخر، كحلول ضوء النهار في ظلمة الليل، وكأن ضوء الصبح يقتحم في ظلمة الليل كاقترحام الشيء في الشيء الآخر، وإيلاج كل من الليل والنهار في الآخر حلوله محل الآخر

كورود ضوء الصباح على ظلمة الليل كشيء يلج في شيء ثم اتساعه وإشغال النهار من الفضاء ما أشغله الليل، وورود ظلمة المساء على نور النهار كشيء يلج في شيء ثم اتساعها وشمول الليل. (الطباطبائي: ج ١٤، ص: ٤٠١). وقال آخرون: ذكر الله إيلاج الليل في النهار من آيات قدرة الله، فان الله تعالى قادر على نصر المظلوم علي الظالم (ابن عجيبة، ١٤١٩ق، ج ٣: ٥٤٩؛ الزحيلي، ١٤٢٢، ج ٢: ١٦٦٤). وقد تناول الفخر الرازي هذه الآية من جهتين. وقوله هو:

ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ بِمَا قَبْلَهُ؟ وَ الْجَوَابُ: مِنْ وَجْهَيْنِ: أَحَدُهُمَا: ذَلِكَ أَيْ ذَلِكَ النَّصْرُ بِسَبَبِ أَنَّهُ قَادِرٌ وَمِنْ آيَاتِ قُدْرَتِهِ الْبَالِغَةِ كَوْنُهُ خَالِقًا لِلَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمُتَصَرِّفًا فِيهِمَا، فَوَجِبَ أَنْ يَكُونَ قَادِرًا عَالِمًا بِمَا يَجْرِي فِيهِمَا، وَإِذَا كَانَ كَذَلِكَ كَانَ قَادِرًا عَلَى النَّصْرِ مُصِيبًا فِيهِ وَثَانِيهَا: الْمُرَادُ أَنَّهُ سُبْحَانَهُ مَعَ ذَلِكَ النَّصْرِ يَنْعَمُ فِي الدُّنْيَا بِمَا يَفْعَلُهُ مِنْ تَعَاقُبِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَوُلُوجِ أَحَدِهِمَا فِي الْآخَرِ. (الفخر الرازي، بي تا، ج ٢٣: ٢٤٥). إذن يركز تفسير الفخر الرازي علي قدرة الله و نعمته للخلق. و ذهب بعض المفسرين إلي مذهب آخر و قدّم تفسيراً فيزيائياً من معنى الآية. يقول محمد جواد مغنية: تسير الأفلاك بقدرة و عناية من الله تعالى و يدور بعضها حول بعض فتكون الفصول المختلفة. فيأخذ في فصل من النهار و يضيفه علي الليل حتي يطول الليل خمسة عشر ساعة و يتقلص النهار إلي تسع ساعات. و في الفصل الآخر يقلص من الليل و يضيفه علي النهار حتي يطول النهار خمسة عشر ساعة و يتقلص الليل إلي تسع ساعات و يكور الليل علي النهار و يكور النهار علي الليل؛ اي يغشي الليل علي النهار و يغشي النهار علي الليل او ينقص من احدهما و يزيد علي الاخر (مغنية، ١٤٢٤، ج ٢: ٣٧). وثمة تفسيراً فيزيائياً آخر لهذه الآية وهو أن الآية يمكن أن تشير إلي هذا الأمر أضافة إلي أمر آخر و هو أن وجود الليل والنهار سببه الطبقات الجوية التي تحيط بالكرة الأرضية ولهذا لم ينزل الليل ولا النهار فجأة وإنما تدريجياً فيظهران بشكل الفجر والغلق يعمان السماء، ثم يأتي الشفق واحمرار السماء من قبل المشرق عند غروب الشمس ثم يجن الليل ويعم الظلام بشكل تدريجي (سيد قطب، ١٤٢٥، ج ١، ٣٨٥).

إذن نستنتج من هذه الأقوال أن معظم التفاسير ومن دون النظر إلي المنظومة الدلالية لكل مفردة و للسياق، تشير إلي قضيتين هامتين في تفسير هذه الآيات وهاتان القضيتان هما:

(١) تشير إلي التغيير التدريجي وغير المحسوس لليل والنهار، أي تقلص الليل والنهار طوال المواسم والفصول الأربعة.

(٢) تشير إلي البزوغ والأفول التدريجي لكل من الليل والنهار.

ب) تحليل آيات يولج من وجهة نظر علم الدلالة

يتحدث القرآن في الآية الستين^(١) من سورة الحج عن المعاقبة بالمثل ويقول: ﴿وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِ﴾ وهي معاقبة الظالم بمثل ما ظلم. والسبب في تسمية هذا الجزاء "معاقبة" هو أن ظلم الظالم سبب عقوبته و السبب في عقوبته هو ظلمه، كما يحمل الشيء عن نظيره أو نقيضه بسبب الملائسة أو المناسبة. (الطبرسي، ١٤١٢، ج ٣: ٥٧) ثم تقول الآية أن الله لعفو غفور. وقوله تعالى: ﴿لِيُنْصِرَهُ اللَّهُ﴾ ظاهر السياق - والمقام مقام الاذن في الجهاد - أن المراد بالنصر هو إظهار المظلومين على الظالمين الباغين وتأييدهم عليهم في القتال لكن يمكن أن يستظهر من مثل قوله: "ومن قتل مظلوما فقد جعلنا لوليه سلطانا فلا يسرف في القتل إنه كان منصورا" أسرى: ٣٣ أن المراد بالنصر هو تشريع حكم للمظلوم يتدارك به ما وقع عليه من وصمة الظلم والباغي فإن في إذنه أن يعامل الظالم الباغي عليه بمثل ما فعل بسطا ليد على من بسط عليه اليد. (الطباطبائي، ١٣٩٠، ج ١٤: ٤٠٠). ثم يقول في الآية ٦١ من هذه السورة: "ذلك بأن الله يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل وأن الله سميع بصير" إيلاج كل من الليل والنهار في الآخر حلوله محل الآخر كورود ضوء الصباح على ظلمة الليل كشئ يلج في شئ ثم اتساعه وإشغال النهار من الفضاء ما أشغله الليل، وورود ظلمة المساء على نور النهار كشئ يلج في شئ ثم اتساعها وشمول الليل. والمشار إليه بذلك - بناء على ما تقدم من معنى النصر- ظهور المظلوم بعقابه على الظالم الباغي عليه، والمعنى أن ذلك النصر بسبب أن من سنة الله أن يظهر أحد المضادين والمتزاحمين على الآخر كما يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل. (الطباطبائي، ١٣٩٠، ج ١٤: ٤٠١) كما أشار أئمة اللغة في معنى الإيلاج هو النفوذ والسرير في شيء خفية (مصطفوي، ١٤٣٠، ج ٣: ٢١٩). ويستشهد به البعض كشاهد لعلم الإله بالأسرار و كل ما يخفي العباد ويسرّوه؛ فيقول هؤلاء أن كل ما يفعله الإنسان من خير و

شرّ و بغي وإنصاف لا يخفي علي الله و ذلك أنه سميع بصير بما يفعل العباد (الزخشري، ١٤٠٧، ج ١٦٧: ٣). علي سبيل المثال يذكر الله تعالى علمه بالأمر الخفية ويشير إلي إيلاج الليل في النهار كدليل علي ذلك وهو دليل علي العلم بالأعمال الخفية. ولهذا يمكن القول أن قصد الآية هو الإشارة إلي النفوذ والتغلغل الخفي في الأمور. بحيث نري أئمة الجور يتمادون في ظلمهم وطغيانهم ويتكاثرون علي المظلوم حتي يفتح الله للمظلوم طريقاً يتغلغل من خلاله إلي الظالم فيطيح بسلطانه كما دخل موسى ﷺ في بلاط فرعون وتوغل في سلطانه فأطاح به بأمر من ربه.

أما حول كلمة يولج التي وردت في سورة لقمان في الآية العاشرة^(٢) فقد تشير هذه الكلمة إلي خلق السماوات بغير عمد وخلق الجبال وغير ذلك من الآيات؛ وفي الآية الحادية عشرة^(٣) يؤاخذ الكفار ويقول: هَذَا خَلَقَ اللَّهُ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ. وفي الآية ١٣ حتي الآية ١٩ يذكر نصائح لقمان لإبنه ثم يبدأ في الآية ٢٠ بحروف ألم لكي يشير إلي قدرة الله في إعطاء نعماته إلي العباد وما وهب لهم من خير؛ أي بعد أن ذكر في الآية ١١ خلق الله يفصل بين هذه الآية بذكر نصائح لقمان لأبنه في سبيل هدايته إلي الصراط المستقيم ثم يعود إلي ذكر نعمات الله لعباده حتي يأتي في الآية ٢٩ علي ذكر إيلاج الليل في النهار كدليل علي قدرة الله تعالى و تدبيره. إذن عمل الإيلاج في هذا السياق يشير إلي قدرة الله و نعمته للعباد و هذا السياق يتلائم مع الآيات الأخرى و الحديث عن خلق الله وأن وكل ما يعبد من دون الله لا يقدر علي شيء.

وفي ما يتعلق بعبارة يولج التي وردت في الآية ١٣ من سورة فاطر نقول أن هذه الآية تذكر العباد بقدرة الله؛ ثم في الآية^(٤) ١٠ من السورة نفسها يقول الله تعالى: ﴿مَنْ كَانَ يَرْيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا﴾. فالعزة بمعناها الأول تعني القهر والغلبة و لا العكس. فقد تقول هذه الآية إن العزة خاصة بالله عز وجل؛ لأن الخلق كله فقير إلي الخالق فهو من دونه ذليل و لا يقدر علي شيء و لا يملك شيئاً، ثم إن العزة بمعنى كون الشيء قاهراً غير مقهور أو غالباً غير مغلوب تختص بحقيقة معناها بالله عز وجل إذ غيره تعالى فقير في ذاته ذليل في نفسه لا يملك لنفسه شيئاً إلا أن يرحمه الله ويؤتيه شيئاً من العزة كما فعل ذلك بالمؤمنين به قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ (المنافقون/ ٨) (الطباطبائي، ١٣٩٠، ج ١٧: ٢٢). وبعدها يذكر آية

من آيات قدرته وهي الإيلاج وربما يمكن أن نشير من خلال هذه الآية إلى سمة الإيلاج وهي الدوام وصفة العزة الإلهية والأوجه الأخرى من الصفات المشتركة لهاتين المقولتين (العزة الإلهية وإيلاج الليل في النهار والنهار في الليل). علي سبيل المثال الصفة الخاصة لهاتين المقولتين (الزخشي، ١٤٠٧، ج ٣: ٦٠٢) اللتين يندرجان ضمن السنن الإلهية قد ذكرت في الحديث القدسي الذي خاطب به الله عز وجل نبيه داوود عليه السلام فقال: ((يا داوود! إني وضعت... العزة في طاعتي وهم يطلبونه في خدمة السلطان فلا يجدونه؛ (المجلسي، بي تا، ج ٧٨، ٤٥٣). ويقول الإمام علي عليه السلام: ((من يطلب العزّ بغير حقّ يذلّ)) (الكليني، بي تا، ج ٨: ٢٧). فكما أن إخفاء الليل في النهار والنهار في الليل بيد الله تعالى كذلك عزة الإنسان ورفعته بيد الله فهو يعزّ من يشاء ويذلّ من يشاء.

والآية السادسة من سورة الحديد فقد عبرت عن الليل والنهار بالإيلاج واستخدمت كلمة يولج في وصفها وهي آية تصف قدرة الله المتعال. وسبق أن شرحنا كلمة يولج علي أساس رأي اللغويين في بحثنا عن علم الدلالة وقلنا هي النفوذ والتوغل الخفي في الشيء، وقد استخدمت في هذا السياق لأنها تتلائم معه فعندما قال الله في الآية بأنه علیم بذات الصدور وهي الأفكار الخفية في صدر الإنسان، استخدم كلمة يولج للتعبير عن علمه بها ولم يقل يكور، أو نسلخ، أو يقلب. لأنها كلمة ذات صلة وثيقة بالسياق والآية من ناحية علم الدلالة. إذن لو قمنا بدراسة شاملة لكل الآيات سوف نتوصل إلي أن جميع الآيات التي أتت ذكرها في هذه الدراسة لها علاقة وثيقة بفضاء وسياق الآيات الأخرى، بحيث نري أن الكلمة والمضمون المحوريين في كل آية يتلائمان تماماً مع الكلمة المراد مناقشتها في البحث وهي "يولج" وشهدنا أن أنسب كلمة للتعبير عن رسالة الآية هي هذه الكلمة؛ فهي التي تستوعب أداء مدلولها بقوة بحيث لو استخدم القرآن غيرها لما أوصل المعني^(٥). إذن الكلمة التي وردت في الآية ٦١ من سورة الحج والتي تشير إلي النصر الإلهية غير المحسوسة و المغفرة الربانية التي تمحو ذنوب الإنسان، أو ذكر صفة السميع البصير في آخر الآية، كلها تشير إلي أن الله لا يخفي عليه كل ما يعمل الإنسان من خير وشر وبغي وإنصاف. كما أن الآية ٢٩ والآية ٦ من سورة الحديد تتحدث عن القدرة الإلهية وقدرته علي أمور لا يقدر عليها الإنسان، كل هذه الصفات متلائمة مع سياق المعني وتأتي في موضعها الخاص بها.

٣- كلمة يكور في القرآن الكريم

الف: كلمة يكور^(٦) عند المفسرين

تقول معاجم اللغة وكتب التفاسير عن معنى كلمة "يكور" أنها من مادة تكوير بمعنى اللَّف، ويضرب أئمة اللغة لفّ العمامة علي الرأس مثلاً لعمل التكوير وذلك لتقريب المعني إلي الذهن. فإذا كان شخص واقفاً خارج الكرة الأرضية وينظر إلي حركتها و دورانها حول نفسها و يشاهد تتابع الليل والنهار، سوف يري وكأن شريطاً أبيض يلتف علي الأرض من جانب و من جانب آخر

يزيحه شريط أسود ليحلّ محلّه وهذان الشريطان هما الليل والنهار، فضوء النهار يزيح ظلام الليل وظلام الليل يزيح ضوء النهار وهذه الحالة مستمرة ما دامت الأرض تدور. وهناك مسألة دقيقة ينبه إليها ذوو اللب وهي تتمثل في التعبير القرآني وإشارته علي كروية الأرض وأنها متحركة وتدور حول نفسها. لكن الكثير من المفسرين لم ينتبهوا لهذه الأمور الدقيقة في القرآن ولهذا ذهبوا في تفسير هذه الآية مذاهب شتى لا تتلائم مع مفهوم "التكوير" ولا تنقل المعني كما ينبغي (سيد قطب، ١٤٢٥ق ج ٢٣: ٢٢٢، ميداني، ١٣٦١، ج ١٢: ١٥٩، الألوسي، ١٤١٥، ج ١٢: ٢٢٩). وتقول تفاسير أخرى أنّ هذا الدوران يجعل شريط الليل الأسود و شريط النهار الأبيض في حالة التفاف دائمة حول الأرض وكأن الأرض تتكور بهما بدورانها (مكارم، ١٤٢١، ج ١٥: ١٩، الخطيب، ١٤٢٤، ج ١٢: ١١١٨) و علي أية حال هناك الكثير من التعابير القرآنية الحكيمة حول نظام النور والظلام وظهور الليل والنهار، وكل منها ينظر إلي هذه الظاهرة من خلال زاوية خاصة. منها قوله: ﴿يُولِجُ اللَّيْلُ فِي النَّهَارِ وَيُؤَلِّجُ النَّهَارُ فِي اللَّيْلِ﴾: (فاطر / ١٣). يقول بعض المفسرين في تفسير كلمة يكور أنها وردت بمعنى يغشي و يولج. فقد يخشي الليل النهار ويغشي النهار الليل. فقد خلقهما الله متتابعين وكل منهما يطلب الآخر (ابن كثير، ١٤١٩، ج ٧: ٧٦). و يذكرون آيتين كدليل علي قولهم والآيتان هما: ﴿يَغْشَى اللَّيْلُ النَّهَارَ، يَطْلُبُهُ حَثِيثًا﴾ (الأعراف ٧ / ٥٤) وقوله سبحانه: يُولِجُ اللَّيْلُ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارُ فِي اللَّيْلِ (الحديد ٥٧ / ٦) (الزحيلي، ١٤١١، ج ٢٣: ٢٤٩).

ب) تحليل كلمة "يكور" من المنظور الدلالي

إن ذكر كلمة "يكور" و جريان الشمس والقمر في مسيرهما في هذه الآية يوحي لنا بنتيجتين: الأولى دوران الكائنات حول نفسها وأن كل كائن يدور حول نفسه في حركة مستمرة وهذه الحركة تسبب الليل والنهار واليوم والشهر والسنة، والنتيجة الثانية هي خلق الكائنات خلقة معقدة ومتصلة ببعضها، فتشبيها بالعمامة توحى بالنتيجتين معاً، لأنَّ العمامة مدورة ومعقدة وملتفة علي بعضها. إذن نستنتج من هذين الأمرين اللذين يشكلان مقدمة للولوج في البحث نتيجة واحدة وهي أن العالم علي الرغم من كثرته وتنوعه في الظاهر مرتبطاً ببعضه إرتباطاً وثيقاً ويشكل وحدة متكاملة وهذه الصلة هي التي تتحكم بالكون، ومن نافل القول أن أحد البراهين الإنيّة لإثبات التوحيد هو وحدة الكائنات و وحدة نظام العالم وهذه الوحدة المتناسكة تدلنا علي وحدة إله العالم؛ فقد اتفق عقلاء العالم أجمعين أن وحدة الخلق دليل علي وحدة الخالق. ومن خلال إثبات وحدة العالم و وحدة الكون كلّه يثبت لنا وحدة إله العالم ومنها يثبت لنا ثبوتاً يقينياً لا لبس فيه أن هذا الإله الواحد لم يلد ولم يولد وليس له أبناء أو بنات فهو منزّه من كل هذه الصفات. لأنَّ الوحدة والتوحيد خاصة به و من ذات الإلهية ولهذا تنزه الرب من كل هذه الصفات فهو لم يلد ولم يولد وليس بنات أو بنون لأنَّ الإنجاب يتنافي مع الذات الوحدانية التوحيدية (أمين، بي تا، ج ١١: ١٨٠). وقد توصلنا هذه النتائج إلي أن هذا التعبير الدلالي الذي قدّمه المفسر واعتمد علي سياق الآيات حول عدم إتخاذ الإله صاحبة ولا ولداً هو تعبير صائب تماماً وهذه النتائج لا يمكن الوصول إليها إلّا من خلال كلمة يكور التي ذكرها القرآن في موضعها المناسب. والدليل الآخر الذي يثبت صحة استخدام هذه العبارة في موضعها المناسب لها هو ذكر صفتين من صفات الذات الإلهية: الأولى "العزیز" والثانية "الغفار". ومعني هذا أن الله عزیز وله العزة فلا يفلت مذنب من عقابه و من جانب آخر غفار يغفر الذنوب كلها؛ ولهذا يأمل المذنبون في رحمته وعفرانه. فأصل كلمة "الغفار" التي وردت بصيغة المبالغة؛ من الغفران والغفران في الأصل هو تغطية الشيء، فالمقصود في هذا المضممار هو أن الله غفار يغفر الذنوب؛ فإذا نظرنا إلي هذا المضمون من الناحية الدلالية ونظرنا إلي السياق وظاهر الكلام (للمزيد: قائمي نيا، ١٣٩٦: ١٤٨) في هذه الآية سوف نعرف أن تعبير "يكور" هو أنجح وأنسب تعبير لإيصال المعني؛ وذلك لأنَّ عمل التكوير هو تكوين الشيء بعضه فوق بعض ولّفه بعضه علي بعض بحيث جزء منه يغطي الجزء الآخر، وهذا يتلائم

مع عمل الغفران و تغطية الذنوب وسترها فهي أيضاً أنسب صفة لهذا السياق من حيث تناسب المعني والمضمون.

كلمة نسلخ في القرآن الكريم

(الف) كلمة نسلخ^(٧) عند المفسرين

لقد وردت كلمة نسلخ مرة واحدة في القرآن الكريم و تناولتها كتب التفاسير بالشرح والتفسير. نشير إلي بعض منها حسب مقتضي الحال. يقول الزمخشري في تفسير هذه الكلمة: نسلخ من مادة سلخ (علي وزن بلخ) و هو مستعار من كشط الجلد من مثل الشاة يقال سلخت الإهاب من الشاة. إستعير منه لكشف الضوء من مكان الليل وإزالته منه حيث شبه كشف الضوء وإزالته من مكان الليل بكشط الجلد من الشاة والجامع ما يعقل من ترتب أحدهما علي الآخر. وهذا تعبير جميل فشبه ضوء النهار بلباس أبيض يلبسه الليل. فتسلخ الشمس هذا اللباس. فالنظر في هذا التعبير تشير إلي أن طبيعة الأرض هي الظلمة والضوء والنور عارضة عليه تأخذه الأرض من مصدر خارجها، مثل اللباس العارض علي الإنسان، فإذا سلخه الإنسان اتضحت طبيعته. فهذا السلخ استعير به لإزالة الضوء من الليل (الزمخشري، ١٤٠٧، ج٤، ١٦). ويقول تفسير مجمع البيان أن السلخ هو الكشط. يقول الله في كتابه الكريم: ﴿وَأَيُّ لَيْلٍ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُمُ مُظْلِمُونَ﴾ (يس/٣٧) (الطبرسي، ج٢٠ ص٤٠٣) أما العلامة الطباطبائي فقد يقول حول هذه الآية: ويؤيد ذلك أنه تعالى عبر في مواضع من كلامه عن ورود كل من الليل والنهار عقيب الآخر بإيلاجه فيه فقال في مواضع من كلامه: ﴿يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُؤَلِّجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ﴾ "الحج ٦١": فإذا كان ورود النهار بعد الليل إيلاجا للنهار في الليل اعتبارا كان مفاجأة الليل بعد النهار إخراجا للنهار من الليل اعتبارا.

كأن الليل أطبق عليهم وأحاطت بهم ظلمته ثم ولج فيه النهار فوسعهم نوره وضيأوه ثم خرج منه ففاجأهم الليل ثانيا بانطباق الظلام وإحاطته بما أضاءه النهار ففي الكلام نوع من الاستعارة بالكناية. (الطباطبائي، ١٣٩٠، ج١٧: ٨٩) والبعض اقتدي بقتادة وأوردها بعمني الإيلاج وذكروا قوله: ﴿يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُؤَلِّجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ﴾ كدليل علي قولهم (ابن أبي حاتم، ١٤١٩، ج١٠: ٣١٩٤) و ذهب طائفة أخرى من المفسرين إلي أن هذه الآية تدل على

القدرة الإلهية وقالوا أن "نسلخ" بمعنى يولج وهو دخول الليل في النهار والنهار في الليل (الطبراني، ٢٠٠٨م، ج ٥: ٢٨١).

ب) تحليل كلمة "نسلخ" من المنظور الدلالي

تحدث أولي آيات سورة يس حول الأمم السالفة ومصير كل من تلك الأمم. وبعدها تتحدث الآيات عن قصص بعض الأنبياء الذين نهوا الشعوب والأمم من عبادة الأوثان والشرك. وقد ذكر القرآن الكريم تلك الأمم بـ "أصحاب القرية" الذين عصوا أنبيائهم و كذبوا رسلهم فحل بهم العذاب الأليم، والسبب ذكر هذه القصة هو تحذير مشركي مكة و أن يسلي الله الرسول الأكرم والمؤمنين القلائل بهذه الآيات ويشرهم بحسن العاقبة تحفيزاً لهم، إلي أن يأتي بالبراهين والدلائل من الآية ٣٢ وما بعدها لعل القوم يؤمنون بربهم. فبالنظر إلي سياق الآيات والفضاء الذي مهدت له أولي آيات هذه السورة، نتوصل إلي أن كلمة نسلخ في هذا السياق تتلائم تماماً مع الفضاء العام للسورة ورسالتها. هذا التعبير الدلالي بناء علي الفضاء العام للآيات هو عبارة عن تحذير المشركين من مفاجئة العذاب وحلوله بهم وهم في غفلة من أمرهم، وهو ما نشاهده في الآية ٢٩^(٨) من هذه السورة وأخذ الكفار والمشركين بالصيحة في قوله وأخذتهم الصيحة.... وفي الآيتين التاليتين يشير إلي دليل إيمانهم وهدايتهم، كل هذا تمهيد لسياق البحث وإيصال الرسالة. فيبدأ القرآن استدلاله في الآية ٣٣ حينما يتحدث عن إحياء الأرض وإخراج الحب منها ويقول: ﴿وَأَيُّ لَٰمٍ الْأَرْضُ الَّتِي كُنَتْ أَخْيَيْنَهَا وَأَخْرَجَتْ مِنْهَا حَبًّا فَنُفِثَ فِيهِ كُؤُنٌ...﴾. ثم في الآية ٣٧ يذكر بانسلاخ النهار ويقول: ﴿وَأَيُّ لَٰمٍ اللَّيْلِ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُمُ مُظْلِمُونَ...﴾. وإذا نظرنا إلي سياق الآيات بدقة سنري أنها كيف اختارت المفردات ذات الوقع الشديد لوصف العذاب، فبما أنها تتحدث عن العذاب والعقوبة التي سوف تحل بالكافرين اعتمدت كلمة نسلخ لما لها من وقع ومعنى شديدين علي الأذان. وفي الآية ٤٦ يصف الله تعالى هذه الأمور بأنها آيات الله التي يحسد بها الكافرين ولا يتعظون منها؛ وقوله هو: ﴿وَمَا تَأْتِيهِمْ مِنْ آيَةٍ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ﴾.

كلمة يقلب في القرآن الكريم

الف) كلمة يقلب^(٩) عند المفسرين

يقول الله سبحانه وتعالى في الآية ٤٤ من سورة النور: ﴿يَقْلِبُ اللَّهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ...﴾. تقول معظم التفسيرات أن يقلب ذكرت في القرآن بمعنى القلب والتحول. لكن ثمة تفاسير متعددة حول نوعية التحول وأسبابه وحيثياته. وقد نشير في هذا المضممار إلي بعض هذه التفسيرات حسب ما يقتضيه الحال.

يرى البعض أن يقلب بمعنى تقصير شيء و تطويل آخر بصورة تدريجية وهي الحالة التي نشهدها في تقلب الفصول والمواسم (الألوسي، ١٤١٥، ج ٩، ص: ٣٨٤). ويقول آخرون أن التقلب يعني اختلاف الليل والنهار وإيلاج الليل في النهار والنهار في الليل، فكل واحد يأتي ليمحو الآخر (الطبري، ١٤١٢، ج ١٨، ١١٩). وذهب بعض من أئمة اللغة بأن التقلب هو تقلبات الطبيعة واختلافها كتغيرات البرد والحر والأحداث الأخرى التي تحدث في الليل والنهار (شبر، ١٤٠٧، ج ٤: ٣٢٦). لكن طائفة كبيرة من المفسرين بعد ذكر هذه الآراء والتفسيرات يؤكدون علي أن هذه التفسيرات لا تتنافى مع بعضها وليس فيها أي تباين، فكلها يمكن أن تجتمع في معنى التقلب (لأن معنى التغير معنى محوري في تعريفها) (الفخر الرازي، ١٤٢٠، ج ٢٤: ٤٠٦ / القمي، ١٣٦٨، ج ٩: ٣٢٨ / فيض الكاشاني، ج ٣: ٤٤١).

ب) دراسة كلمة تقلب من الناحية الدلالية

بناء علي ما ورد في هذه الدراسة يتضح لنا أن طائفة كبيرة من المفسرين قالوا أن معنى يقلب هو التغير والتحول؛ وقد ذكروا لهذا التغير عدة معان. لكن بما أن كل آية من آيات القرآن لها معنى ورسالة خاصة، ووردت جميع كلمات القرآن بدقة متناهية وكل كلمة جاءت في موضعها المناسب في النص والسياق، فلم تستثن هذه الكلمة من هذه القاعدة العامة. والجدير بالذكر أن المقاربة الدلالية والنظر إلي السياق الآيات في ما يتعلق بلفظ يقلب، نتوصل إلي أن النص القرآني مهد الأرضية لكي يتحدث في الآية ٣٧ من هذه السورة عن خصائص رجال نذروا أنفسهم وأهليهم لله تعالى ولا تليهم تجاره ولا بيع عن ذكر الله. وقوله تعالى هو: ﴿مَرِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ...﴾ وبعدها تتحدث الآيات عن الظلال والكفر والجهل وعن الكافرين الذين ختم الله علي قلوبهم فهم لا يهتدون. ويصف أعمالهم بأنها كسراب بقيعة يحسبها الظمآن ماء،

فكل هذه الصور والتمثيلات الحسية الرائعة تمهد لرسم الصورة النفسية والقلبية لكي يصف الليل والنهار في الآية ٤٤ ويقول: ﴿يَقْلِبُ اللَّهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ...﴾.

ومن هنا تتجلى لنا أسباب ورود كلمة "يقلب" بدل الكلمات الأخرى. لأنّ العليم الحكيم شاء أن يختار بجمكته أنسب الكلمات وأكثرها تلائماً مع سياق الآيات وهي بالتأكيد كلمة "يقلب" التي تتلائم تماماً مع سياق الآيات والصور الحسية التي رسمها الله تعالى من خلال هذا التشبيه. لذلك نرى أنّ هذه الكلمة هي أوفي بالغرض وأكثر استيعاباً لأداء مدلولها؛ لذلك لم يذكر أي من الكلمات المترادفة لها التي قمنا بشرحها في هذا المقال. وقيل في معاجم اللغة أنّ قلب الشيء تصريفه وصرفه عن وجه إلى وجه كقلب الثوب وقلب الانسان أي صرفه عن طريقته. وأكثر ما يقال عن التغيرات القلب وتحولاته من حال إلى حال (الراغب الإصفهاني، ١٤١٢هـ.ق؛ ٦٨٢).

حصاد البحث

لقد تناولنا في هذه المقالة بعض المفردات المعقدة في القرآن الكريم وتوصلنا إلى أنّ الطريق الوحيد للفهم الصحيح والصائب لدلالات القرآن خاصة في النصوص الدينية كالقرآن هو فهمها ضمن السياق والفضاء التي وردت فيه؛ منها فهم السياق التي وردت فيه كلمات يولج، ويكور، ونسلخ، ويقلب في مواضع مختلفة من القرآن لتدلّ علي تتابع الليل والنهار؛ وحملها معظم المفسرين علي معنى واحد ولم ينتبهوا إلي الفروق اللغوية التي تحملها هذه الكلمات. في حين شهدنا أنّ كل من هذه المفردات وردت بالنظر إلي السياق والفضاء العام للآيات ولكل منها دلالتها الخاصة التي تميزها عن غيرها. إذن من أهم النتائج الدلالية التي وصلت إليها هذه الدراسة، هي فهم العلاقة الوثيقة التي تربط بين تلك المفردات وبين السياق التي وردت فيه وعلاقتها بما قبلها وبعدها من الآيات التي تخلق فضاء عاماً يوحي بدلالة خاصة يجب النظر للمفردات من خلالها. فقد استخدم القرآن للتعبير عن تعاقب الليل والنهار أربعة مفردات ذات دلالة بالغة الدقة وهذه الكلمات هي يولج، ويكور، ونسلخ، ويقلب. ولكن معظم المفسرين ذهبوا في تفسيرها مذهباً واحداً فحملوها كلها علي معنى واحد. فبالنظر إلي أنب القرآن رمزي البنية ويتمتع نصه بطبقات دلالية مختلفة ومتنوعة تشكّلها الألفاظ المختلفة كلها تأتي حسب السياق ولذلك لها دلالاتها

المختلفة. والكلمات المتشابهة في الظاهر قد تختلف دلالتها بحسب السياق، فما بالك إذا كان ظاهرها مختلفاً. إذن بناء علي ما سلف من القول يمكن أن نخرج بنتائج هامة نذكرها في ما يلي:

١- إذا قمنا بدراسة جميع الآيات التي وردت فيها كلمة يولج نكشف أن جميع المواضع التي وردت فيها هذه المفردة لها علاقة وثيقة بالسياق الذي وردت فيه والفضاء العام الذي خلقتة الآيات السابقة واللاحقة؛ ولهذا نجد علاقة وطيدة بالمفهوم والدلالة المحورية التي تتمثل في هذه المفردة.

٢- وردت كل من مفردات "يولج، ونسلخ، ويكور، ويقلب" في سياقها ودلالاتها الخاصة ولا يمكن أن تحل واحدة منها محل الأخرى بزعم أن هذه المفردات مترادفة ولها دلالة واحدة؛ مثل ما فعل معظم المفسرين في تفاسيرهم ولم يتنبهوا للفروق اللغوية.

في نهاية البحث لا يسعني إلّا أن أشكر جامعة نوشيرواني لما قدمته من دعم كريم في تقييم هذا البحث و منحه درجة ٩٧/٣٧٠٣٩٥/BNUT. ولهم جزيل الشكر.

هوامش البحث

- (١) - ﴿ذَلِكَ وَمَنْ عَاقَبْ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِ ثُمَّ يَتْلُ عَلَيْهِ لَنَتُصَرِّفُ اللَّهُ إِلَيْهِ الْآيَاتِ الْكَافِرِينَ﴾ (٦٠)
- (٢) - ﴿خَلَقَ السَّمَاوَاتِ بَغِيرَ عَدَدٍ تَرَوْنَهَا وَآلَتِي فِي الْأَرْضِ مَرَأْسَى أَنْ تَنِيدَ بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَرَجٍ كَرِيمٍ﴾
- (٣) - ﴿هَذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَمْوَئِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ بَلِ الظَّالِمُونَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾
- (٤) - ﴿مَنْ كَانَ يَرْيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ وَالَّذِينَ يَنْكُرُونَ السَّيِّئَاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَهُمْ فِيهِ يَمْكُرُونَ وَلَئِنْ هُوَ يُرِيدُ...﴾
- (٥) - يجب فهم المضمون والمعني من خلال السياق وضمن منظومة فكرية متكاملة وليس بصورة منفصلة، فلم نتاقت المفاهيم بصورة منفردة متجزئة وإنما ضمن منظومة من المفاهيم، ولهذا لا بد من النظر إلي المنظومة القيمية والثقافية والفكرية التي ولدت فيها تلك المفاهيم والمعان.

(٦٣٢) دراسة دلالية في توظيف مفردات (يولج - يكور - نسلخ - يقلب) في القرآن الكريم

- (٦) - ﴿خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ يُكَوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ وَيُكَوِّرُ النَّهَارَ عَلَى اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ أَلَا هُوَ الْعَزِيزُ الْغَنِيُّ﴾ (٥)
- (٧) - ﴿وَأَيُّ لَهْمٍ اللَّيْلُ تَسْلُخُ مِنْهُ النَّهَارُ فَإِذَا هُم مُّظْلَمُونَ﴾ (يس/٣٧).
- (٨) - ﴿إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ خَدِيدُونَ﴾ (٢٩)
- (٩) - ﴿يَقْلَبُ اللَّهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَنْ يَفِي ذَلِكَ لَعْنَةُ الْأُولَى الْأَبْصَارِ﴾.

قائمة المصادر والمراجع

إن خير ما ابتدئ به القرآن الكريم

- ١- ابن أبي حاتم، عبد الرحمن بن محمد، ١٤١٩هـ.ق، تفسير القرآن العظيم (إبن أبي حاتم)، الرياض، مكتبة نزار مصطفى الباز الطبعة الثالثة
- ٢- بن عاشور، محمد طاهر، ١٤٢٠هـ.ق، تفسير التحرير والتنوير المعروف بتفسير ابن عاشور، بيروت، مؤسسة التاريخ العربي، الطبعة الأولى
- ٣- ابن عجيبة، احمد، ١٤١٩هـ.ق، البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، حسن عباس زكي، قاهره، الطبعة الأولى
- ٤- ابن كثير، اسماعيل بن عمر، ١٤١٩هـ.ق، تفسير القرآن العظيم (ابن كثير)، بيروت، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى
- ٥- ايزوتسو، توشي هيكو، ١٣٦١ش، الله والإنسان في القرآن، مترجم احمد آرام، طهران.
- ٦- الأكلوسي، محمود بن عبدالله، ١٤١٥هـ.ق، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، بيروت، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى
- ٧- امين، نصرت بي گم، ١٣٩٦ش، تفسير مخزن العرفان در علوم قرآن، طهران، منشورات فراموشي
- ٨- خطيب، عبد الكريم، ١٤٢٤هـ.ق، التفسير القرآني للقرآن، بيروت، دار الفكر العربي، الطبعة الأولى
- ٩- الراغب الإصفهاني، حسين بن محمد. بي تا، مفردات ألفاظ القرآن، بيروت، دارالقلم
- ١٠- الزبيدي، محمد مرتضي، ١٤١٤ق، تاج العروس من جواهر القاموس، بيروت، المكتبة الحياة

١١- الزحيلي، وهبة، ١٤١١ هـ.ق، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، دمشق، دار الفكر، الطبعة الثانية

١٢- الزمخشري، محمود بن عمر، ١٤٠٧ هـ.ق، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل و عيون الأقاويل في وجوه التأويل، بيروت، دار الكتاب؛ الطبعة الثالثة

١٣- شبر، عبدالله، ١٤٠٧ هـ.ق، الجوهر الثمين في تفسير الكتاب المبين، الكويت، شركة مكتبة الالفين، الطبعة الأولى

١٤- شعيري، حميد رضا، ١٣٨١ ش، مباني زبان شناسي نوين، طهران، منشورات سمت

١٥- صفوي، كوروش، ١٣٨٧ ش، درآمدي بر معناشناسي، ج ٣، تهران، انتشارات سوره مهر

١٦- الطباطبائي، محمد حسين، ١٣٩٠ هـ.ق، الميزان في تفسير القرآن، بيروت، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، الطبعة الثانية

١٧- الطبراني، سليمان بن احمد، ٢٠٠٨ م، التفسير الكبير: تفسير القرآن العظيم (الطبراني)، اردن، دار الكتاب الثقافي؛ الطبعة الأولى

١٨- الطبرسي، فضل بن حسن، ١٤١٢ق، مجمع البيان في تفسير القرآن، طهران، طبعة فرهاني.

١٩- الطبري، محمد بن جرير، ١٤١٢ هـ.ق، جامع البيان في تفسير القرآن (تفسير الطبري) بيروت، دار المعرفة

٢٠- الطريحي، فخر الدين بن محمد، ١٣٧٥ ش، مجمع البحرين، تهران، منشورات مرتضوي

٢١- الطنطاوي، محمد سيد، ١٩٩٧ م، التفسير الوسيط للقرآن الكريم، قاهره، منشورات النهضة، الطبعة الأولى

٢٢- العلوا، سلوا محمد، ١٣٨٩ ش، بررسي وجوه و نظاير در قرآن كريم، ترجمه دكتور سيد حسين سيدي، آستان قدس رضوي، الطبعة الثانية

٢٣- الفخر الرازي، محمد بن عمر، ١٤٢٠ هـ.ق، التفسير الكبير، بيروت، دار إحياء التراث العربي، الطبعة الثالثة

٢٤- الفراهيدي، خليل بن احمد، ١٤١٠ق، كتاب العين، قم، منشورات هجرت

٢٥- فيض الكاشاني، محمد بن شاه مرتضى، ١٤١٥ هـ.ق، تفسير الصافي، تهران، مكتبة الصدر، الطبعة الثانية

- ٢٦- قائمي نيا، عليرضا، ١٣٩٦ش، معنا شناختي قرآن، تهران، پژوهشگاه فرهنگ و اندیشه اسلامي، الطبعة الثالثة
- ٢٧- القرشي، سيد علي اكبر، ١٣٧٧ش، تفسير أحسن الحديث، طهران، منشورات بنياد بعث
- ٢٨- القرطبي، محمد بن احمد، ١٣٦٤ش، الجامع لأحكام القرآن، طهران: منشورات ناصر خسرو
- ٢٩- قطب، سيد، ١٤٢٥ق، في ضلال القرآن، بيروت، انتشارات دارالشروق
- ٣٠- القمي مشهدي، محمد بن محمدرضا، ١٣٦٨ش، تفسير كنز الدقائق و بحر الغرائب، طهران، وزارة الثقافة الإسلامية، الطبعة الأولى
- ٣١- الكليني، محمد بن يعقوب، ١٣٨٨ق، الكافي، تصحيح علي اكبر غفارة، طهران، دار الكتب الاسلاميه
- ٣٢- المجلسي، محمد باقر، ١٩٨٣م، بحار الأنوار، بيروت، مؤسسه الوفاء، الطبعة الثانية
- ٣٣- مختار عمر، احمد، ١٩٩٣ق، علم الدلالة، القاهرة، انتشارات عالم الكتب، الطبعة الرابعة
- ٣٤- المصطفوي، حسن، ١٤٣٠ق، التحقيق في كلمات القرآن الكريم، بيروت، دار الكتب العلمية،
- ٣٥- مطيع، مهدي، ١٣٨٧ش، معاشناسي زيبايي در قرآن كريم، پايان نامه دكترا، دانشكده الهيات دانشگاه امام صادق عليه السلام.
- ٣٦- مغنية، محمدجواد، ١٤٢٤ق، الكاشف، طهران، منشورات دار الكتب الإسلامي
- ٣٧- مكارم الشيرازي، ناصر، ١٤٢١ق، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، قم، مدرسة الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام، الطبعة الأولى
- ٣٨- الميداني، عبدالرحمن حسن حبنكة، ١٣٦١ش، معارج التفكير و دقائق التدبر، دمشق منشورات دار القلم
- ٣٩- مير لوحی، سيد علي، ١٣٩٢ش، ترادف در قرآن، تهران، پژوهشگاه علوم و فرهنگ اسلامي
- ٤٠- نكونام، جعفر، ١٣٩٠ش، درآمدي بر معاشناسي قرآن، قم، منشورات كلية اصول الدين